المحاضرة الأولى : مدخل إلى علم الإجتماع

تمهيد :

يعتبر علم الاجتماع من العلوم الهامة ، فهو يمنحنا قدراً كبيرا من التشويق الذاتي ، كما يزيد من قدرتنا على فهم أنفسنا .

أ- نشأة علم الإجتماع :

يمكننا القول أن أفكار و نظريات علم الإجتماع قديمة قدم الحضارات الإنسانية التي عرفها الإنسان ، فمادة علم الإجتماع المتعارف عليها من قبل علماء الاجتماع التقليديين و المحدثين كانت خلال الحضارات القديمة كحضارة بلاد الرافدين و النيل و الحضارات شبه القديمة كالحضارة الإغريقية و الرومانية و حضارات القرون الوسطى كالحضارة الإسلامية موجودة في عدة علوم إنسانية كالفلسفة و التاريخ و الجغرافيا و الدين و السياسة .

غير أن موضوعات علم الإجتماع هذه بدأت تنسلخ عن العلوم التي كانت تابعة لها لا سيما بعد تعقد الظواهر الإنسانية و شيوع مبدأ التخصص العلمي و المعرفي و نضوج العلوم و تطوير مناهجها و أساليبها الدراسية ، من هنا بدأت مواد علم الإجتماع تنجذب نحو بعضها البعض لِتُكَوِنَ في القرن الرابع عشر علما جديدا سمي " علم العمران البشري " ، و ذلك عند العلامة عبد الرحمن بن خلدون في كتابه " المقدمة " .

لقد ظهر العديد من المفكرين الاجتماعيين في الحضارات الانسانية المختلفة ، مثل أرسطو و سقراط و أفلاطون في الحضارة الاغريقية ، و سنيكا و سيسيرو في الحضارة الرومانية ، و الفارابي و بن خلدون و المسعودي و بن رشد و الماوردي في الحضارة العربية الاسلامية ، و في العصر الحديث و في أوروبا بالتحديد ظهر العديد من المفكرين البارزين في هذا المجال ، أمثال ميكيافيلي و تمواس هوبز و جون لوك

و جان جاك روسو و سان سيمون ، و قد مهدت أفكار هؤلاء جميعا إلى ظهور علم الإجتماع كعلم مستقل عن العلوم الطبيعية و الإجتماعية ، و الذي يُنسب الفضل في تأسيسه بالمفهوم الحديث الى العالم الفرنسي " أوجست كونت " (1798-1857) ، و الذي أطلق عليه التسمية الحديثة " La sociologie " و هو إسم مركب من لفظتين هما : " socio " و هي مشتقة من اللغة اللاتينية و تعني المجتمع أو الجماعة ، و " logie " ، و هي مشتقة من اللغة اليونانية و تعني الدراسة العلمية أو العلم ، ليعني الاسم كليا " الدراسة العلمية للمجتمع " ، و ذلك بإعتماد كونت على المنهج العلمي أو الوضعي في دراسة المجتمع ، و قد جاء إسم السوسيولوجيا بعد التسمية الأولى " الفيزياء الاجتماعية " ليعني بها العلم الذي تكون دراسة للظواهر الاجتماعية بموضوعية .

ب- ماهية علم الاجتماع :

هناك عدة تعاريف لعلم الاجتماع ، ذلك أن لكل عالم اجتماع تعريفه الخاص ، و لعل من أهمها

يعرف ابن خلدون علم الاجتماع بأنه " العلم الذي يدرس ما استطاع الانسان انجازه في البيئة الحضرية من معالم المدينة و التراث الحضاري و باقي الفنون الحياتية التي طورت المجتمع و نمّته في ضروب و مجالات مختلفة " .

و يعرفه الاجتماعي الفرنسي إميل دوركايم " بأنه العلم الذي يدرس المجتمعات الانسانية من ناحية نظمها و وظائفها و مستقبلها ، و هو العلم الذي يدرس أصل و تطور المؤسسات الاجتماعية التي يبنى منها التركيب الاجتماعي " .

أما ماكس فيبر فيعرف علم الاجتماع بأنه " العلم الذي يفهم و يفسر السلوك الاجتماعي " و يقصد بالسلوك الاجتماعي كل فعالية أو حركة مقصودة يؤديها الفرد ، و تأخذ بعين الاعتبار وجود الافراد الآخرين و قد يكون سببها البيئة أو الاحداث التي تقع فيها .

و يعرفه موريس جنزبرغ على أنه " دراسة التفاعلات و العلاقات الانسانية من حيث ظروفها و آثارها " .

إذاً فعلم الاجتماع لا يهتم بما يحدث داخل الفرد ، و انما يهتم في المقام الأول بما يحدث بين الأفراد ، أي أنه يركز كل اهتمامه بالأفراد بوصفهم كائنات اجتماعية تمارس أنشطة متعددة و متباينة و تدخل مع الآخرين في علاقات متعددة .

ج- أهداف علم الاجتماع :

يقسم علم الاجتماع من ناحية وظائفه و أهدافه الى قسمين أساسيين هما : علم الاجتماع الصرف أو النظري Pure sociology ، و علم الاجتماع التطبيقي Applied sociology ، فالنظري يهتم بدراسة و اكتشاف و تراكم المعرفة النظرية الخاصة بالمجتمع و السلوك الاجتماعي و الحضارة المادية و غير المادية ، أما علم الاجتماع التطبيقي فهو يهتم بتطبيق مبادئ و أسس و نظريات علم الاجتماع النظري لمعالجة و حل المشكلات الاجتماعية التي تواجه الانسان و المجتمع .

د- موضوع علم الاجتماع و ميادينه :

فيما يلي عرض لموضوع علم الاجتماع من وجهة نظر مؤسسيه :

* حدد ابن خلدون مجالات الدراسة في علم العمران البشري فيما يلي :

- العمران البدوي ⟸ الانثروبولوجيا .
- الدولة و الخلافة و الملك ⟸ علم الإجتماع السياسي .
- الصنائع و المعايش ⟸ الإقتصاد .
- العلوم و إكتسابه و تعلمها ⟸ علم الإجتماع التربوي .

* أما أوجست كونت فقد ركز في معالجته لمواضيع علم الاجتماع على جانبين :

– الاستاتيكا الإجتماعية Statique social أو الثبات الاجتماعي : دراسة محددات و عوامل النظام و التماسك الإجتماعي .

– الديناميكا الإجتماعية Dynamique social أو التغير الاجتماعي : دراسة تطور الإنسانية و القوانين التي تسير نمو المجتمع الانساني .

* أما اميل دوركايم فقد قسم بدوره مواضيع علم الاجتماع إلى قسمين :

– المورفولوجيا الاجتماعية .

– الفيزيولوجيا الاجتماعية .

و قد حدد دوركايم الموضوع الرئيسي لعلم الاجتماع بأنه " الظواهر الإجتماعية "

و على العموم يبقى موضوع علم الإجتماع هو دراسة الظواهر الإجتماعية كما توجد في الواقع .

هـ– علاقة علم الاجتماع بالعلوم الأخرى :

1– علاقة علم الاجتماع بعلم الاقتصاد :

يُعنى علم الاقتصاد بدراسة الإنتاج و توزيع السلع و الخدمات ، و علماء الإجتماع يهتمون بدراسة النواحي الاجتماعية للنواحي الإقتصادية ، مثل أثر العادات الاجتماعية على الأسعار ، و دور التعليم في الإنتاج و غير ذلك .

2– علاقة علم الاجتماع بعلم السياسة :

يتكون علم السياسة من فرعين رئيسيين الأول يبحث النظريات السياسية ، و الثاني يدرس الإدارة و التنظيمات الرسمية للحكومة ، بينما علم الاجتماع هنا يدرس كافة الجوانب القائمة فيه ، و من بينها

الحكومة ، و لقد اهتم علماء الاجتماع السياسي بالبحث في السلوك الانتخابي و اتجاهات الرأي العام نحو الموضوعات السياسية المختلفة و عمليات اتخاذ القرار في المجتمع .

3- علاقة علم الاجتماع بالتاريخ :

يصنف علم التاريخ على أنه أبو العلوم ، و هو ذلك العلم الذي يتخذ من الوقائع و الأحداث التاريخية في حياة البشرية موضوعا له ، و هو أيضا دراسة التطور الماضي للمجتمعات الإنسانية ، و لكي نفهم أي موقف اجتماعي فلا بد أن نعرف الظروف التي أدت الى انبثاقه ، أو كما يقال " لا نستطيع أن نفهم الحاضر دون معرفة الماضي " .

4- علاقة علم الاجتماع بعلم النفس :

علم النفس من العلوم الاجتماعية التي تدرس الأفراد في حالات منعزلة ، و يهتم بدراسة مظاهر السلوك التي تعبر عن شخصية الفرد ، الذي يتأثر بالأوضاع و الظروف الاجتماعية المختلفة ، لكن لا يمكن لعلم النفس فهم السلوك الفردي أو الشخصية بمعزل عن الظروف الاجتماعية و الحضارية و التاريخية المحيطة بالفرد ، إذاً فالتفسيرات السوسيولوجية و السيكولوجية لسلوك الفرد يكمل بعضها البعض .